ولكن لماذا الاستاذة الدكتورة رشا الحمود الصباح..؟ 2/2

حمد محمد المرعي

لندن - ابريل 1998

مع أنه ليس المجال هنا من كتابة سير ذاتية، وخاصة أن هذا قد يطول عند التعرض لشخصية مرموقة مثل الدكتورة رشا، إلاّ أنه هناك ثلاث نقاط أساسية لابد أن تحدد ليكون استنتاجنا منطقياً وذا توجه سليم.

فأولاً هناك كفاءات هذه الشخصية والتي يطول الكشف في استعراضها ولكنه لا يمكن لاثنان أن يختلفا عليها. فهي موثّقة ومشهوداً عليها ليس محلياً أو إقليمياً بل عالمياً ومن أرقى المؤسسات التربوية والتعليمية. وبالإضافة فهناك الخبرة العالمية والمحلية والتي تدرّجت في إكتسابها والتي قدّمت من خلالها الإنجازات الجليلة في الميدان التربوي والأكاديمي التعليمي. يضاف إلى ذلك علاقاتها الشخصية والمهنية المرموقة مع أبرز الجهات والمؤسسات الدولية.

وثانياً فإنه يتوفر لديها من الخصال ما قد ينعدم في الكثير من المسؤولين القياديين ونحدد بالذات خصلة التواضع وخصلة الانفتاح الذهني. وبالطبع هذا إضافة إلى أو في إطار الكفاءات والقدرات العملية والمرونة في التحرك التي تمتلكها ويفقدها الكثير مما تعودنا مطالعة وجوههم النضرة صباح مساء. وفوق هذا وذاك فها هي قد وصلت إلى مركز وكيلة وزارة لتكون أول امرأة في هذا المنصب ليس على مستوى الكويت فقط بل على المستوى الخليجي بأجمعه. وليس هذا فقط، بل هي وصلت إلى ذلك المركز لا عن الطريق الشائع لدينا - ونقصد تفصيل وتجهيز المنصب للشخص، ولا عن طريق كونها مفتاح انتخابي أو مخلّصاً للمعاملات أو ما شابهه. بل وصلت إليه عن طريق ما يشبه التدرج الوظيفي من مدّرسة جامعيّة ثم أستاذة ثم عميدة إلى وكيلة وزارة. فليس هناك قفز ولم يكن هناك واسطة أو ضغوط من وراء الكواليس مما هو شائع هذه الأيام ولا هم يحزنون.

26213 Safat - 13123 Kuwait الكويت ٢٦٢١٣ الصفاة - 13123

وبعد هذا وذاك فهي من النوع النادر الذي يقدر الجهود ويكافئ الإنجازات ومُدمنة تطوير، وهمّها الأول والأخير المصلحة العامة. فهي تنغمس شخصياً بروحها ووجدانها لتتحسّس القضايا والمهام المناطة بها سعياً لإيجاد الوسائل العلاجية المنصفة وذلك لئلا تبقى القضايا معلقة وتكون عقبة في سير أداء العمل أو استمراره أو عائقاً في طريق الإنجازات المطلوبة.

وبلا شك فإن ما يهيئها لذلك هو انفتاحها الذهني ومرونتها الفكرية وتواضعها الشخصي وجرأتها القاسية عندما تكون على حق. أو ليست هذه هي الصفات التي تتطلبها المجتمعات المتطلعة للتطور والتي تمقت الركون والتقوقع متمسّكة بالبقاء ولو على هامش الوجود أما بأسباب غياب القرارات الجريئة أو تردد شجاعة أهل القرار.

وقد يأتي من يقول وهل هذا من معايير الإختيار السليم للتوزير! وإذ يكون هناك بعض الحق في تساؤل مثل هذا، إلاّ أن الردّ لذو شقين: فأولاً منذ متى كانت هناك نصوص ملزمة ومكتوبة لشأن مثل هذا. وثانياً منذ متى اتبعنا نحن هكذا معايير (إن وجدت) في عشرات الحكومات التي مضت. فالقضية تنحصر في أهداف وطموحات وأحوال. وقد تذبذبت حكوماتنا الحديثة السابقة فيما بين بيروقراط الى تكنوقراط إلى هذا "ولد فلان وذاك ولد علاّن" ليصل الأمر إلى مجاملة ومحاباة وكسب ولاءات. وكل هذا تم تحت شعار "الإصلاح".. إلاّ أن ما انعكس على واقع الأمر لهو العكس. ولو تفحصنا الأوراق بدقّة والقينا نظرة على حكومات الستينات والسبعينات ـ فماذا نجد ؟ إنه لا يخفى أن أعضاء الحكومة في تلك الآونة كانوا من رجالات الدولة البارزين (والذين أصبحوا الآن بأسباب لا يجهلها أحد من "العملة النادرة"). كما لا يخفى أن منهم من دفع بعجلة التقدم والتطور لتصل البلاد إلى أرقى مراحلها بجرأة فطرية وانفتاح ذهني، فلا نيات مبيته أو انضواء فئوي أو طائفي.. وقد كان بعضهم من الأسرة التعليمية أو من امتهن التعليم في وقتها. ولا عجب هناك في هذا. فقد أدّوا رسالتهم خير أداء وأنجزوا خير إنجاز وذلك بما قاموا به من نقلة حضارية لكويت ما قبل الخمسينات إلى كويت ما بعد السبعينات.

وثالثاً، فهناك أبعاد أخرى ولها أهميتها المعتبرة في هذا العصر الذي تمر به البلاد. فمن جهة، فلقد آن الآوان لأن تشارك المرأة (ونقصد به المرأة الإنسان وليست تلك المتقوقعة أو التابعة أو المتخفيّة أو المقيّدة بأهل الأمر والنهي) وأن تُشرك بالوزارة. فها نحن نتشدق

بأنها أصبحت وكيلة وزارة وسفيرة...و و الخ. فما الفرق وخاصة أن التوزير ليس منّةً منزلة من السماء لجنس الرجل فقط. وبالأخص أن تلك المرأة موضوع حديثنا هذا قد أصبحت بالفعل وكيلة وزارة.

ومن جهة أخرى، ولدحض الحجة بالحجّة، فإن كون هاته الشخصية بالذات "امرأة" لفيه الجواب الكافي والدواء الشافي. أو ليست المرأة هي مربية الأجيال بكون الأم خلقت "امرأة" ولم تخلق رجلاً والتي أنيط بها تربية النشأ. أو ليس من قوانين الخلق أن المرأة خلقت للتربية ـ أو هكذا ما يتغنّى به ليل نهار مرشدينا ومفتينا في الدين والدنيا.

ومن جهة أخيرة، والكويت رائدة في النهج الديموقراطي في المنطقة، وكانت من أوائل من اهتم بالمرأة تعليماً كان ذلك أو خلق كفاءات أو إناطة بمهام هامة، ألم يحين الوقت لكسر حالة التردد وعقد العزيمة والتوكل على الله مؤمنين بخلقه البشر "سواسية" ومبتعدين عن السفسطة الممجوجة وتحريف الكُلم وقراءة آيات الخلق بالمعكوس.

ورابعاً، قد يكون هناك من يقول أن وزارتي التربية والتعليم العالي ليست مما يطلق عليه "وزارات السيادة". ولكن بالتبصر والتمحيص وتجنب قراءة آيات الخلق بالمقلوب فإنه ليتبيّن أن هاتين الوزارتين لأهم من تلك المصنفة بـ "وزارات السيادة". وذلك لأنّه عبرها وعن طريقها تتكون قيادات "وزارات السيادة" تلك. ونربط هذا حتى لا يأتي من يقول أن أ.د.رشا الصباح هي من الأسرة الحاكمة فكيف تتولى وزارة شعبية... ناسين أو متناسين أن الدكتورة رشا لم تلقب نفسها بـ "الشيخة رشا الصباح" أبداً، وهي مواطنة قبل أن تكون من الأسرة الحاكمة ـ وفوق هذا وذاك فإنه ليس ولن يكون لدينا. في هذا البلد المؤمن مما يمكن تسميته "محابين أو عملاء" للأسرة الحاكمة والتي اختارها الشعب بنفسه ويعزها ويوقرها حتى عندما كانت البلاد في أحلك أيامها.

وأخيراً، نحن ومثل الكثيرين غيرنا لا نرى أية بدعة في موضوعنا هذا، بل البدعة في ما يغاير هذا. ونعتقد بجد وجدية أن التحفظ أو التخوف من هكذا أمر ليس له أي أساس. ونعتقد أيضاً أن الفرصة قد حانت لهذه الحكومة ويجب اغتنامها وقطع دابر مقولة "مشتهين